التعبير الفني للأطفال في ضوء بعض متغيرات الوراثة والبيئة[1]

مقدمة:

يؤكد البحث الحالي على أن التعبير الفني للأطفال هو مظهر من مظاهر النمو، وأن هذا المظهر له معدله الخاص في النمو، وأنه يتفاعل مع بقية مظاهر النمو الأخرى تفاعلاً إيجابياً، يؤثر فيهم ويتأثر بهم، وعلى هذا الأساس فالتعبير الفني كسلوك يمارسه الأطفال يمكن اعتباره محصلة تفاعل جوانبهم الشخصية وانعكاس لها.

مشكلة البحث:

بالرغم من أن لعوامل الوراثة والبيئة تأثيرها على مظاهر النمو عامة، وأن مجال البحث الحالي يؤكد هذه الحقيقة أو المسلمة تجاه مظاهر التعبير الفني للأطفال، إلا أن مشكلة البحث الحالي تكمن في الكشف عن ماهية خصائص التعبير الفني للأطفال في ضوء تأثير بعض عوامل الوراثة والبيئة، أي أن البحث الحالي يبحث في المظاهر الكيفية للتعبير الفني في ضوء تأثير بعض عوامل الوراثة والبيئة.

هدف البحث:

الكشف عن خصائص التعبير الفني للأطفال في ضوء تأثير بعض متغيرات الوراثة والبيئة.

فرض البحث:

توجد علاقة إيجابية بين خصائص التعبير الفني للأطفال وبين بعض متغيرات الوراثة والبيئة.

منهج البحث:

يتبع البحث الحالي المنهج الوصفي الارتباطي.

المقصود بالتعبير الفني للأطفال:

التعبير الفني عند الأطفال أحد العلوم الإنسانية التي تهدف إلى سعادة الإنسان، وهو مجال من مجالات البحث العلمي المتعارف عليه عالمياً، ويهتم به المتخصصون في التربية الفنية كما يهتم به غيرهم من المربين كالآباء والأمهات وعلماء النفس والجمال، والتحليل النفسي، والأخصائيين الاجتماعيين، والمهتمين برعاية شئون الأحداث.

والتعبير الفني للأطفال يتناول بالبحث ظاهرة "سلوك الأطفال في مجال الفن التشكيلي" من خلال منجزاتهم فيه وذلك بالوسائط الفنية المختلفة.

ويقصد بالتعبير الفني: أن يتنفس الطفل عما في نفسه بأسلوبه الخاص وأن يترجم أحاسيسه الذاتية دون ضغوط أو تسلط في إطار المحافظة على نمطه وشخصيته وطبيعته، فيعبر عن الأشكال والقيم الجمالية، ومن خلال هذا التعبير الحر، تنمو خبراته وتتطور مشاعره، وتتبلور أخيلته، كما تتفتح ميوله، وتتحدد اهتماماته، وتظهر اتجاهاته.

وفي ثنايا هذا التعبير يستخدم الطفل، مجموعة من الخامات التي يتعرف على خصائصها، ومصادرها، فيتمكن من السيطرة عليها، باستمرار معالجته لها.

---

[1]• أ.د. مصطفى محمد عبد العزيز حسن، أستاذ علم النفس ومادة تحليل التعبير الفني لفنون الأطفال والبالغين قسم علوم التربية الفنية – كلية التربة الفنية – جامعة حلوان.

وفي أثناء هذه الممارسة يعتمد الطفل على نفسه في إدراك الحقائق المحيطة به ويحاول صياغتها، وإخضاعها بحرية، في صور منظمة ذات علاقات جمالية ووحدة مشتركة. كما يتعاون مع غيره من أقرانه في كثير من الأعمال والمشروعات الجماعية، فيألف سياسية العمل في فريق، والإسهام مع الجماعة المتضامنة، مع محافظته على شخصيته.

وعلى هذا الأساس يدخل تحت التعبير الفني للأطفال كل تخطيطات الأطفال الحرة التي يعبرون بها على أي سطح منذ بداية عهدهم بمسك القلم، أو ما يشابهه، وحتى نهاية فترة الطفولة المتأخرة، كما يدخل ضمن هذا التعبير أيضاً كل ما يقوم به الطفل مستخدماً أي خامة تعطي له فرصة التعبير المجسم ذو الأبعاد الثلاثة.

لماذا نقوم بتدريس الفن للأطفال[1]:

التعبير الفنية سمة من سمات الإنسان من خلاله يعبر عن أفكاره وانفعالاته وأحاسيسه وهو في جملته فعل سلوكي يمس الجانب التعبيري يمكن ترجمته في أشكال كثيرة متنوعة. وتزداد أهمية العناية بتعبيرات الأطفال الفنية من كون الطفولة لها أهميتها في بناء المجتمع وتحقيق تواصل الأجيال وقد طالعتنا الصحف في الآونة الأخيرة ببعض المطالبين بحذف مادة التربية الفنية من المقررات التي تدخل ضمن المجموع، كما أفسحت الصحف مجالاً لبعض المتخصصين في التربية الفنية للرد وفي ضوء ذلك أود أن ألقي بعض الأضواء على الدور الهام الذي تقوم به مادة التربية الفنية في التعليم وهو كما يلي:

١- في الإسهام في تعليم النشئ التعليم المكتمل، فإذا كانت موضوعات الحياة تقدم إلى تلاميذنا من الزاوية العلمية أو الوظيفية، فإن التربية الفنية تقدم هذه الموضوعات من خلال حقائقها الجمالية، وذلك تتعاون المناهج الدراسية علمية وفنية في تقديم العالم بزاويتيه إلى أبنائنا، أما التركيز على الزاوية العلمية أو الوظيفية دون الزاوية الجمالية يجعل إدراكنا لهذا الكون من حولنا إدراكاً ناقصاً ومثال ذلك الطفل الذي يقدم له المعلم حقائق علمية عن نبات معين من حيث مكوناته، وزراعته، فوائده، سوف لا ينظر إلى هذا النبات إلى من خلال هذه الزاوية، إلا إذا أضاف معلم الفن حقائق أخرى فنية عن هذا النبات من حيث ألوانه، وملامسه، وحركته، وشكله، ونسبه، وإيقاعات خطوطه، ومن هنا تكتمل الخبرة وتنعكس على نظرة أطفالنا إلى هذا النبات وبمرور الوقت ربما ينسون الحقائق العلمية ويبقى في إدراكهم ما يتعلق بجمال هذا النبات.

٢- يترتب على النقطة السابقة حقيقة أخرى وهي أننا عن طريق برامج الفنون التي تحتوي على طرق ومصطلحات لتفهم الفن وأشكاله، نكون قد ساعدنا على إعداد وتربية الجمهور الفنان، والمستهلك الفنان، أو الناقد الفنان الذي سوف لا يرضى بأية مظاهر للقبح من حوله ويفرض على البيئة الصبغة الجمالية، ويطرد من أمامه أية سلعة لا تقدر إحساسه بالجمال، وبذلك نكون قد ساعدنا أبنائنا أن يحيوا حياة سعيدة لأننا أعددناهم لكي يصدروا أحكاماً جمالية صحيحة.

٣- إن ممارسة الأطفال للفن تكسبهم كثير من ممارسة وتوظيف وتنمية العمليات النفسية مثل الملاحظة والانتباه والإحساس والإدراك، والاختيار، والتعميم والقدرة على فهم المعلومات البصرية، وكل هذا الاكتساب يمكن توظيفه في مواقف الحياة سواء المتصلة بالتعليم داخل المدرسة أو خارج المدرسة، ولذلك تعتبر التربية الفنية بطريق غير مباشر جسر لتعليم الطفل العلوم الأخرى فالفن في مصر الفرعونية كان طريقاً لفهم الحياة المصرية القديمة وعاداتها

---

[1] مصطفى محمد عبد العزيز – دور التربية الفنية في التعليم – مقالة بجريدة الجمهورية (مصر) السنة ٤٨، العدد (١٧٣٤١) بتاريخ ٢٠٠١/٦/٢٠.

وتاريخها.. ولم يبق من مصر الفرعونية إلى فنونها، كذلك تعتبر التربية الفنية وسيلة غير مباشرة لتكيف الفرد، ولتأكيد هذا الدور لاحظ فقط انهماك الطفل أثناء عمليات تركيب قطع الميكانو أو إثناء الرسم كم من الوقت يستغرقه ذلك؟ وهل يا يتطلب كل هذا الوقت انتباه الطفل؟ وهل زمن الانتباه الطويل هذا لا يتفوق على المعدلات التي قدمها لنا علماء نفس النمو.

٤- ويمكن النظر إلى التعبير الفني عند الأطفال من الجانب النفسي، فتعبيرات الأطفال الفنية تعتبر وسيلة وأداه لكشف وقياس جوانب شخصية كثيرة، وهي في ذلك تشبه المقاييس الاسقاطية للشخصية، فحالة الطفل أثناء عملية التعبير الفني أشبه بالتداعي الحر في مجال علم النفس التحليلي، وأشبه بالنشاط اللعبي الذي يهيمن على مرحلة الطفولة حيث التلقائية وتأكيد الذات، والاستمتاع، لذا فمن خلال فنون الأطفال وتعبيراتهم الحرة يمكن الاستدلال على عوامل كثيرة وحقائق هامة تدور حول مدى توافق الطفل الحركي، مدى تمركزه حول الذات، مدى انفتاحه على البيئة المحيطة، نوعية اهتماماته، مستوى إدراكه (الدرجات اللونية / نسب الأشياء / تفاصيل الأشكال...)، جوانب النقص في خبراته، مخاوفه، أفكاره، طموحاته، تأثير الثقافة، وكل الأشياء ذلك التأثير الإيجابي أو السلبي على الطفل، ولذلك كان العلاج عن طريق الفن وسيلة هامة في العلاج النفسي، إن الطفل الذي لا يجيد اللغة اللفظية التي يعبر بها يجد لغة أخرى أيسر وأقرب لتوصيل أحاسيسه وأفكاره.

٥- إن السماح للطفل بممارسة الفن هو سماح له أن يكون عضواً مؤثراً في بيئته المحيطة، فطوال الوقت هو شخص متأثر بتعاليم الآباء والكبار والمعلمين إلا أنه عندما يدخل حصة الفن تتاح له فرصة أن يعبر ويؤثر في الآخرين، وإذا كانت العلوم تهدف إلى أن تعمم حقائق ثابتة مثل ٢ × ٢ = ٤، وعلى كل الأطفال أن تتشابه إجاباتهم على هذه المسألة، إلا أنه في حصة الفن لا يهدف المعلم إلى إجابات متشابهة، فهو عندما يطلب من تلاميذه التعبير الفني عن موضوع من الموضوعات نجده يساعدهم على أن يعبر كل منهم عن موقف معين وبطريقة أو أسلوب يختلف عن الآخرين.

٦- أن الرؤية العلمية بشكلها الواسع، وإدراك الحياة بشكل عام لا تتم إلا عن طريق تعلم الفن، وذلك بسبب العمليات التي يمارسها الفرد والمصاحبة للتعبير الفني من تنمية الملاحظة، والاختيار، والتعميم والقدرة على فهم المعلومات البصرية.

٧- عندما تعطي الطالب معلومات أو عمليات، أو طرق فنية يستطيع عن طريقها الحكم الجمالي الصحيح فإننا نساعده على أن يحيا حياة سعيدة يستفيد من حياته، وبالعكس فالفرد الذي لا يستطيع إعطاء أحكام جمالية صحيحة لا يستطيع الاستفادة من حياته، إذن فالتفضيل الجمالي جزء أساسي في حياة الإنسان.

٨- لتنمية قدرة الفرد على الإبداع، ولهذا نرى أن بعض المناهج – كما في الولايات المتحدة[١] – تشتمل على إتاحة الفرص على مدى واسع لممارسة وتجريب الخامات، إن الخبرة الأساسية لتحقيق غايات الفرد تستند على خبرته الفنية حتى لو شاء حظ هذا الفرد أن لا يتخرج فناناً بعد ذلك. إن طبيعة الممارسة في الفن تختلف عن بقية الممارسات في المواد الدراسية الأخرى. فالفرد فيهل عامل مؤثر يستطيع أن يعلن آراءه، بعكس بقية المواد حيث يكون الفرد متأثر فقط بحقائق العلوم التي لا تقبل التغير وإبداء الآراء في ثباتها.

٩- إن دراسة التعبير الفني للأطفال تفيد في:

أ- توجيه المعلم إلى تفسير التعبير الفني للأطفال بطريقة علمية صحيحة، فيقيم توجيهه الفني والتربوي والنفسي على ضوء حقائق لا وجهات نظر ذاتية.

---

[١] ستانلي ميديا: محاضرة مترجمة بكلية التربية الفنية، جامعة حلوان. ١٩٨١.

ب- تفيد المحلل النفسي، لدورها في عملية تشخيص بعض الحالات أو الأمراض النفسية، ولعلاقتها بقياس القدرات المختلفة ومنها القدرة العقلية العامة (الذكاء).

ج- تفيد الوالدين، في فهم ما ينتجه أطفالهم، فيتقبلاه ويحاولان مساعدتهم وتوجيههم التوجيه السليم[1].

وبالرغم مما سبق نجد البعض يتساءل لماذا نقوم بتدريس الفن للتلاميذ وهو في الأصل يعتمد على موهبة؟ وللإجابة على هذا التساؤل أقول:

١- من الذي قال أن التعبير الفني وحده يلزمه موهبة؟ أن جميع المواد الدراسية توظف كل مها خاصية سلوكية، وهذه الخاصية السلوكية من الممكن توزيعها على منحنى ناقوسي فنرى قلة من الموهوبين وقلة من المتخلفين والأغلبية من المتوسطين، وعلى هذا فأصحاب المواهب إذا كانوا قلة في مجال الفنون فهم قلة ايضاً في مجال اللغة العربية أو الأحياء أو أي فرع من فروع العلم، فهل يقتصر التدريس في المدارس على الموهوبين في الفروع العلمية، حتى يقتصر التدريس على أصحاب المواهب الفنية فقط؟

٢- حتى إذا أثار البعض أن ممارسة الفن للموهوبين فقط فالسؤال هنا: كيف يتم الكشف عن الموهوبين؟ وللإجابة على هذا السؤال أننا لا نستطيع الكشف عن الموهوبين سواء في مجال الفنون أو العلوم إلا عن طريق الممارسة الفعلية لهذه الأنشطة وعلى هذا من الضروري أن يكون الفن ممثلاً ضمن المناهج الدراسية في المدرسة.

إن المتتبع لسلوك الأطفال في الفن وسلوكهم في الأنشطة العلمية الأخرى يجد أن سلوك الأطفال في الفن كظاهرة سلوكية لا تجد حقها من الاهتمام الاجتماعي ففي الوقت الذي تهتم فيه الأسرة مثلاً بما يحدثه طفلها من آثار صوتية (منذ ميلاده) لا تحمل صفة الدوام بقدر ما تحمل صفة الأمر، وتراعي هذه الأصوات حتى يتمكن الطفل من لغته اللفظية، وتتولى المدرسة والجامعة بعد ذلك رعاية هذه اللغة وبصبر، نجد الأسرة – أيضاً – لا تهتم بالآثار الخطية (الرسوم) التي يحدثها الطفل بالرغم من أن هذه الآثار تظل لأطول فترة ملموسة ويسهل ملاحظتها، وتمثل رسالة موجهة من الطفل إلى الآخرين، وامتداداً لأحاديث أجداده الفراعنة.

وإذا افترضننا أن الأسرة قد اهتمت بهذا النشاط ولا نضمن أنها سوف تقوم بتوجيه طفلها توجيهاً علمياً سليماً، فما أكثر أولياء الأمور الذين يقومون بمساعدة أطفالهم في الرسم اعتقاداً منهم أنه مثل أي مادة أخرى تتطلب المساعدة من الآخرين، إننا نرحب بمساعدة أولياء الأمور ولكن المساعدة تكون بهدف تمكن الطفل نفسه من التعبير عن خبراته ووجهة نظره.

٣- نحن نقوم بتدريس الفن لتلاميذنا أيضاً لا من أجل الإحساس بالجمال والتعبير عنه فقط بل لهدف آخر هو التذوق الفني، فالاستعدادات الفنية تكمن وراء هذين النشاطين "التعبير الفني أو الإبداع الفني، والتذوق الفني" ولو نجحنا في خلق جيل متذوق للفن نكون قد حققنا الكثير فعلى سبيل المثال كم منا يتذوق فنون لعبة كرة القدم ويحرص على مشاهدتها؟ وكم منا يمارس هذه اللعبة؟ ووزارة التعليم لا تبخل بالجهد في مجالي التعبير الفني أو التذوق الفني عن طريق توفير الكتب القيمة والمسابقات الفنية العديدة.

التعبير الفني للأطفال في ضوء بعض متغيرات الوراثة والبيئة:

---

[1] محمود البسيوني: سيكولوجية رسوم الأطفال، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ص ١٧-١٨.

يقصد بمتغيرات الوراثة والبيئة تلك العوامل المؤثرة على التعبير الفني للأطفال والحديث عن العوامل المؤثرة على التعبير الفني للأطفال لا يختلف كثيراً عن الحديث عن العوامل المؤثرة على النمو بصفة عامة، فالتعبير الفني للأطفال مظهر من مظاهر النمو مثله في ذلك مثل النمو الجسمي والنمو العقلي والنمو الانفعالي والنمو الاجتماعي والنمو الفسيولوجي، إلا أن مؤلفات علم النفس النمو تخلو من الحديث عن التعبير الفني للأطفال، بينما تستمر في التأكيد على بقية مظاهر النمو الأخرى.

والنظر إلى التعبير الفني كمظهر من مظاهر النمو يجعلنا نستنتج من دراسة قوانين النمو أن لهذا المظهر معدله الخاص في النمو، وأنه يتفاعل مع بقية جوانب النمو الأخرى تفاعلاً إيجابياً، يؤثر فيهم ويتأثر بهم. وعلى هذا الأساس فالتعبير الفني كسلوك يمارسه الأطفال يمكن اعتباره محصلة تفاعل جوانبهم الشخصية وانعكاس لها، وحيث أن الأطفال يختلفون فيما بينهم كماً وكيفاً على نطاق واسع وشامل لكل جوانب الشخصية فمن البديهي أن يواجه المعلم منذ دخول الطفل الصف الأول الابتدائي مزيد من الاختلافات والفروق في القدرات الفنية وعليه أن يضع ذلك في حسابه أثناء العملية التعليمية وأثناء عمليات التوجيه.

وفي الدراسات العلمية يمكن أن ننظر إلى ظاهرة التعبير الفني كعامل تابع يتأثر بعوامل كثيرة مستقلة يمكن حصرها في مجموعتين:

أ- المجموعة الأولى: عوامل تشمل مظاهر النمو الأخرى.
ب- المجموعة الثانية : عوامل تشمل كل العوامل المؤثرة على النمو بصفة عامة.

كما يمكن أن نضع في الاعتبار المجالات الهامة التي يمكن أن ندرس فيها تأثير هذه العوامل، واضعين في الاعتبار الممارسات الفنية المسطحة والمجسمة وقد حدد د. فتح الباب عبد الحليم[1] هذه المجالات وربطها بالتلميذ، فوجه النظر إلى دراسته أثناء عملية التعلم وفي ضوء مراحل نموه، وفي ضوء الوسط التعليمي أو الموقف التعليمي بين المعلم والتلميذ.

وفيما يلي عرضاً لبعض العوامل المؤثرة في النمو بصفة عامة، وتأثيرها على نمو التعبير الفني بصفة خاصة، مع الاستعانة ببعض الدراسات في هذا المجال.

أولاً: الوراثة كعامل مؤثر على التعبير الفني للأطفال:

الوراثة Heredity هي انتقال السمات من الوالدين إلى أبنائهما ويمثلها كل العوامل الداخلية التي كانت موجودة عند الإخصاب، وتؤثر الوراثة تأثيراً كبيراً على القدرات العقلية والإمكانات الجسمية وكل منهما عامل مؤثر على النمو بصفة عامة وعلى التعبير الفني موضوع حديثنا الآن، كما أن للوراثة تأثيرات أخرى على المظهر الخارجي للطفل من حيث الحجم واللون والتركيب العضوي الخارجي والداخلي، والوراثة تعتبر الخطوط العريضة لمدى إمكانيات الفرد التي تكشف عنها البيئة، وفيما يلي بعض العوامل المؤثرة على التعبير الفني عند الأطفال التي يمكن أن تندرج تحت عامل الوراثة:

١- اختلاف نوع الجنس:

تتأثر تعبيرات الأطفال الفنية باختلاف نوع الجنس أي بالذكورة والأنوثة. ولقد درس العلماء تأثير هذا العامل على عينات أخرى من السلوك غير التعبير الفني كان من نتائج هذه الأبحاث زيادة النمو العقلي عند الإناث عنه عند الذكور حتى سن المراهقة، ثم تقار بالسمات العقلية بعد ذلك عند الجنسين، وخاصة في النواحي العامة التي تدل على الذكاء.

---

[1] فتح الباب عبد الحليم: البحث في الفن والتربية الفنية، مرجع سابق، ص٦١.

وقد لاحظ العلماء أيضاً اختلاف مدى الفروق العقلية- الفرق بين أعلى درجة للذكاء وأقل درجة للذكاء – تبعاً لاختلاف نوع الجنس أيضاً، فوجدوه يزداد عند الذكور ويقل عند الإناث ولذا تزداد نسبة العباقرة وضعاف العقول عند الذكور.

هذا وتلعب التنشئة الاجتماعية[١] دوراً هاماً في إبراز الفروق بين الجنسين في الأدوار الاجتماعية المختلفة التي يقوم بها أفراد كل جنس وفيما يلي عرض موجز للدراسات العلمية في هذا المجال.

لاحظت "عبلة حنفي"[٢] في دراسة لها أن هناك اختلافاً في التعبير الفني عن موضوع الأسرة بين الذكور والإناث وجاءت البيانات كما يلي:

- نسبة تكبير الأم في رسوم البنات ٥٢% مقابل ٣١% عند البنين.
- نسبة رسم الأب بطريقة مبالغ فيها عند البنات ٤%، مقابل ٦% عند الذكور.

وأظهرت النتائج التي توصل إليها "مصطفى محمد عبد العزيز"[٣] أن المراهقين في مرحلة المراهقة الوسطى تختلف تعبيراتهم الفنية باختلاف نوع جنسهم وجاءت النتائج كما يلي:

- من حيث مضمون الرسم فإن غالبية الذكور يميلون إلى تضمين رسومهم أفكاراً ومعان فلسفية حول المظاهر الطبيعية، بينما غالبية الإناث يملن إلى الجانب الوصفي لهذه المظاهر، وهذا يعبر عن المضمون الفكري لكل منهما.
- من حيث الصفات الشخصية الإضافية في الرسم والتي تحيط بالشخصية الأساسية فقد جاءت في رسوم الإناث أما أكبر أو أصغر نسبة ٤٧% بينما النسبة لدى الذكور هي ٢٤% فقط. كما أننا لا نرى تفاعل وإن وجد فهو تفاعل عدائي مع الشخصية الأساسية (إناث ٨٢% - ذكور ٥٩%)، وجاءت أغلب الشخصيات الإضافية من الأقارب وغير الأقارب.
- من حيث البيئة التي يتضمنها الرسم فقد تبين أن البيئة المماثلة في الرسم عند المراهقات تكون مستمدة من داخل المنزل بدرجة أكبر مما عليه الحال عند المراهقين، وهي كذلك أقرب إلى الواقعية مما هو موجود في رسوم المراهقين.
- ومن حيث أسلوب الأداء تميزت رسوم المراهقات بالخطوط المحددة غير المهوشة واستخدام الزخارف والتحديد بالقلم الرصاص قبل الرسم بالقلم الفلوماستر وملء المساحات بلون الخامة.

وفي دراسة أخرى قام بها "مصطفى عبد العزيز"[٤] أظهرت النتائج أن الذكور في مرحلة الطفولة نجحوا أكثر من الإناث في إظهار العلاقات الواضحة التي تؤدي إلى المعنى في التعبير الفني المجسم وكانت الخامة هي الطين الأسواني. كما جاءت حركة العناصر أكثر

---

[١] حامد زهران: التوجيه والإرشاد النفسي. القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٠.

[٢] عبلة حنفي عثمان – أثر المستوى الاجتماعي على رسوم الأطفال لوالديهم، مجلة دراسات وبحوث – جامعة حلوان – مجلد (٥)، العدد (٢).

[٣] مصطفى محمد عبد العزيز: رسوم التلاميذ المصريين في مرحلة المراهقة الوسطى ودلالاتها النفسية رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، ١٩٧٣.

[٤] مصطفى محمد عبد العزيز: خصائص نحت الأطفال المصريين في مرحلتي الحضانة والابتدائي وعلاقتها بالذكاء ونوع الجنس والمستوى الاجتماعي، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، ١٩٧٩.

عنفاً من عند الإناث وظهرت الملامس، وأبراز بعض المعاني الزخرفية، وتخلفن في عدم إبراز أقدام العناصر الإنسانية.

٢- اختلاف العمر الزمني:

يذكر د. "فتح الباب عبد الحليم"[١]: واصل كثير من الباحثين جهودهم لدراسة اتجاهات النمو وتحليلها ومع ذلك لازلنا بحاجة لدراسة عوامل النمو التي يتسم بها نمو وعي الفرد بالأشكال المرئية والتعبير عنها وقدرته على ذلك. وقد تتضمن هذه الدراسة دراسة طولية للنمو".

وقال "لونفليد V. Lowinfild[٢] : "يختلف التعبير الفني ويتنوع باختلاف الأفراد... ومع ذلك فإننا لا نستطيع فهم التعبير الإبداعي عند الطفل خلال مراحل معينة من مراحل نموه العقلي والعاطفي ولا تذوقه الفن إلا إذا فهمنا العلاقة السببية المتبادلة بين الإبداع والنمو".

و"لونفيلد" له تأثيره الواضح في مجال دراسة التعبير الفني للأطفال، فالفقرة السابقة جاءت في كتابه الذي تناول فيه مراحل نمو التعبير الفني والذي سبق أن عرضنا مخلص له في الصفحات السابقة كما أن كتابه .Your Child and his Art Published by the Macmillan Co., New Yourk

تناول فيه التعبير الفني للأطفال في مراحل نموهم المختلفة مع الاهتمام بأن يكون هذا توجيهاً إلى الآباء والأمهات بالدرجة الأولى.

بالإضافة لما جاء فإن اختلاف العمر الزمني هو أساس فكرة الاختبارات النفسية التي تحدد المستويات العقلية بالنسبة للأعمار الزمنية، وتكشف عن المثيرات العقلية التي تزداد استجاباتها تبعاً لزيادة العمر الزمني. ولقد درس تأثير اختلاف العمر الزمني على التعبيرات الفنية المسطحة والمجسمة ومن أمثلة هذه الدراسات العلمية قامت "عبلة حنفي"[٣] بدراسة على عينة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين سن السادسة إلى سن الثامنة عشر. بهدف الوصول إلى اختلاف مظاهر التعبير الفني المصاحبة لاختلاف العمر الزمني وكان موضوع التعبير هو "الأسرة". وقد قسمت العينة إلى أربع مجموعات الأولى مجموعة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين سن السادسة والسابعة، والثانية تتراوح أعمارهم بين التاسعة والعاشرة، والمجموعة الثالثة تتراوح أعمارهم بين سن الثانية عشر والثالثة عشر، والمجموعة الرابعة تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر والسادسة عشر.

وأظهرت النتائج أن المجموعة الأولى والثانية عكست اهتمام الطفل بذاته، وبأمه التي أولاها مركزاً هاماً في الأسرة، وظهرت هذه الأهمية في صورة تكبير حجم الأم عن باقي أفراد الأسرة من ناحية، أو في تزويدها بمزيد من التفاصيل الخاصة بوجهها، أو شعرها أو ملابسها، أو باحتلالها مركز الصدارة وسط أفراد الأسرة كما تظهر الرسوم الوعي المكاني وظهرت العناصر بدون خلفيات.

وأظهرت رسوم المجموعة الثانية بعض الاتجاهات التي لم تظهر في رسوم المجموعة الأولى مثل بداية الاهتمام بالمفهوم المكاني، فبعض الرسوم أبرزت طبيعة المكان الذي يحتوي الأسرة، كما أبرزت العلاقة بين أفراد الأسرة، بالإضافة إلى ظهور رموز مثل الستائر وأكاليل الزهور...

---

[١] فتح الباب عبد الحليم: مرجع سابق.

[٢] V. Lowinfild Creative and Mental Growth 3rd., New yourk. Mae Millan, 1947.

[٣] عبلة حنفي عثمان – دراسة الرسم كوسيلة نفسية – رسالة ماجستير – كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٧٢.

أما رسوم المجموعة الثالثة فقد اتجهت نحو الواقعية في رسم الأشخاص، وظهور الأب والأم بنفس الاهتمام في الرسم، وظهر الوعي بالمفهوم المكاني، وأمكن التمييز بين رسوم الجنسين من خلال الرموز الخاصة بكل منهم.

ولم تختلف رسوم المجموعة الرابعة عن المجموعة الثالثة إلا من حيث الزيادة في الاتجاه الواقعي، واللجوء إلى بعض الرسوم المحفظة والخوف من الرسم.

قام " مصطفى عبد العزيز" بدراسة التعبير الفني المجسم في مرحلتي الابتدائي والحضانة على عينة قدرها ٥٦٠٠ طفل في أنحاء مختلفة من محافظتي القاهرة والجيزة بمصر، ومن النتائج المرتبطة بمراحل النمو وقوانينه يمكن عرض النتائج التالية[١]:

١- من المبادئ الأساسية للنمو أنه عملية مستمرة متدرجة تتضمن نواحي التعبير الكمي والكيفي والعضوي والوظيفي[٢] كما يتمثل في ازدياد وزن الطفل وزيادة أحجام وتعقيد كل أجهزة جسمه مع زيادة عمره الزمني مع نمو هذه الاجهزة نمواً وظيفياً يمكن أن يفسر لنا التغير الذي أكدته نتائج التعبير الفني المجسم والتي يمكن ربطها بزيادة العمر الزمني للأطفال فقد لوحظ أن خصائص التعبير الفني المجسم تزداد بزيادة العمر الزمني وهذه الخصائص على سبيل المثال: النجاح في إيجاد علاقات تؤدي إلى المعنى، وزيادة الاهتمام بالأوجه المختلفة للعمل الفني المجسم وزيادة التفاصيل، والقرب من العناصر الطبيعية الواقعية عند التعبير الفني كما أن هناك خصائص تتناقص مع زيادة العمر الزمني مثل عمل علاقة لا تؤدي إلى المعنى والاهتمام بوجه واحد من أوجه الشكل المجسم وعدم إيجاد تفاصيل والاهتمام بالعناصر المجردة.
وفي حالة ازدياد الخصائص فإنها تزداد عمقاً وتفصيلاً وتوضيحاً كعمل الملامح والملامس أو الأشكال البارزة والغائرة أو عمل قاعدة مقصودة أو غير مقصودة للعمل الفني المجسم.

٢- وفي ضوء مبدأ ثان من مبادئ النمو ينص على: "أن النمو يسير من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء ومن المجمل إلى المفصل ومن اللامتمايز إلى المتمايز". كما يتمثل في أن الطفل يستجيب استجابات عامة ثم تتخصص وتتفرغ وتصبح أكثر دقة، أظهرت النتائج في دراسات سابقة – كما سبق – أن الطفل يبدأ سلوكه في الرسم بمرحلة الشخبطة وينتقل منها إلى مرحلة رمزية تجريبية "تحضير المدرك الشكلي" حتى يصل إلى مرحلة "المدرك الشكلي" ثم يتجه اهتمامه إلى "مرحلة محاولة التعبير الواقعي "وينتهي إلى "التعبير الواقعي" نفسه. وإذا تعمقنا في واحدة من مراحل هذا النمو الفني "مرحلة التخطيط" نجدها تبدأ من العام إلى الخاص أيضاً فهي تبدأ عشوائية مجرد تأثير عضلي على سطح معين يصلح للرسم ثم تبدأ في التمايز فنجد لها نظماً مختلفة منها الأفقي والرأسي والموجي حتى يصل إلى التخطيط الدائري. وفي الدراسة الخاصة التعبير الفني المجسم – التي قام بها مصطفى محمد عبد العزيز وجد أن الطفل يلجأ إلى الأشكال الهندسية الكروية والمبططة والاسطوانية كالحبال والقطع المتناهية في الصغر قبل إمكانية عمل أشكال واقعية تحمل تفاصيل دقيقة ثم يدخل في مرحلة تجمع بين التعبير بالأشكال الهندسية وأشكال تقترب من الأشكال الواقعية. وأخيراً يتخلص الطفل من هذه

---

[١] مصطفى محمد عبد العزيز – خصائص نحت الأطفال، مرجع سابق.

[٢] حامد زهران – علم نفس النمو – القاهرة – عالم الكتاب – ١٩٧٧ – ص ص ٣٤-٤١.

الأشكال ويقترب إنتاجه من الواقع بدقائقه وتفاصيله وهكذا يكون النمو من العام إلى الخاص. كذلك نجد الطفل يبدأ بأشكال لا علاقة لها بالمعنى المطلوب التعبير عنه ثم ينتقل إلى أشكال لها علاقة شكلية واضحة بالمعنى، كما يتحول الاهتمام بأحد أوجه العمل الفني المجسم إلى أوجه العمل المجسم كلها أو أغلبها، ويتحول عدم اتصاف العمل الفني المجسم بالأبعاد الثلاثة إلى أقرب الصلة بالأبعاد الثلاثة أو الأبعاد الثلاثة نفسها ومن انعدام التماسك بين الأجزاء إلى التماسك المتكامل أو الذي يشمل أغلب الأجزاء، ومن الاهتمام بوجود العناصر ووضعها على صف واحد إلى الاهتمام بوضعها على صفين ثم إلى تعدد وتمايز هذه الصفوف بعد ذلك.

٣- وفي ضوء مبدأ ثالث يحكم النمو ومراحله ينص على "أن النمو يسير في مراحل وأن كل مرحلة من مراحل النمو لها سمات خاصة ومظاهر مميزة"[١] ... فبالرغم من أن النمو العادي عملية دائمة متصلة ليس فيها ثغرات أو وقفات وأن حياة الفرد تكون وحدة واحدة إلا أن نموه يسير في مراحل يتميز كل منها بسمات وخصائص واضحة كل مرحلة لها مظاهرها الخاصة.

فعند "حبيب جورجي"[٢] نجد أن المرحلة الأولى للتعبير الفني المجسم تشمل الأعمار بين ٦-١٢ سنة وفيها لا يلجأ الأطفال إلى استخدام الأدوات كالدفر والسكاكين فبصمات الأصابع تظل متروكة على الأشكال، كذلك لا توجد الأشكال مظاهر للصقل والتنعيم أو مظاهر للخدش "محاولة التشكيل الغائر" ولكن لا يوجد غير التخريم كمظهر لعمل الملامس، وأغلب هذه النتائج لا تتفق مع ما جاء عند "مصطفى عبد العزيز" حيث أن الأطفال في مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخرة لديهم إمكانية استخدام بعض الأدوات ويستطيعون عمل الملامس الناعمة ويلجأ أغلب الأطفال إلى عمل ملامس ذات طبيعة زخرفية هندسية إلا أن أشكال الفراغات يزداد ظهورها على هيئة "خروم" كلما قل العمر الزمني ويوجد فرق جوهري بين دراسة "حبيب جورجي" ودراسة "مصطفى عبد العزيز" بالنسبة للخروم فالأول يعتبرها ملامس والثاني يعتبرها فراغات تصل بين وجهين من أوجه العمل الفني المجسم.

أما دراسة "نبيل الحسيني"[٣] فنجدها قسمت مراحل التعبير الفني المجسم تقسيماً يتبع المراحل التعليمية (حضانة وابتدائي وإعدادي – "متوسط" وثانوي) وكل مرحلة لها مميزاتها وقد لاحظ الحسيني أن إنتاج الأطفال في مرحلة الحضانة لا يوجد بينه وبين الواقع أي شبه فهو لا يخرج عن كونه أشكال هندسية: كرات طينية، واسطوانات متكررة حتى أنه ذكر في النهاية أن هذه المرحلة تعتبر معادلة لمرحلة الشخبطة التي يقوم بها الطفل في التعبير الفني المسطح "الرسم".

أما المرحلة الابتدائية فقد قسمها – "الحسيني" – إلى قسمين أو فترتين تبعاً لنوع الإنتاج، فقد وجد أن الفترة الأولى يغلب عليها الرمزية أما الفترة الثانية ففيها الأشكال، نظراً لإضافة أنواع من التفاصيل كالشعر والعينين ونقوش الملامس ولصق التفاصيل، وهذا ما يتفق ودراسة "مصطفى عبد العزيز" فالمشاهد للنتائج في دراسته يجد أن إنتاج الأطفال في المرحلة الابتدائية عامة يمكن تصنيفه إلى مرحلتين: المرحلة الأولى يختلط بها التعبير شبه الواقعي بالتعبير الهندسي وإضافة الأشكال التي يمكن

---

[١] حامد زهران: علم نفس النمو، مرجع سابق.

[٢] Ruth Coge-Cobl. "The Child Sculpture of Koubbeh Gardens". The Egyptian Jorunal of Psychology, June, 1948, P.8.

[٣] محمود البسيوني: "إشراف"، تجارب في التربية الفنية، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٤، ص٧٥-٨٣ "تجربة نبيل الحسيني".

أن نقول أنها بعيدة عن المعنى المطلوب التعبير عنه، أما المرحلة الثانية فيقترب فيها التعبير الفني المجسم من الواقع ويتخلص من الأشكال المجسمة المضافة إلى العمل الفني ولا تتدخل في المعاني المراد إظهارها.

وقد حظيت فترة المراهقة كمرحلة من مراحل النمو بالدراسات العلمية التي تناولت مظاهر النمو في هذه المرحلة والعوامل المؤثرة فيها والمشكلات المصاحبة له "النمو" لدى كل من الجنسين. وفي مجال النمو الفني قام "مصطفى عبد العزيز"[١] بدراسة رسوم التلاميذ المصريين في مرحلة المراهقة الوسطى وعلاقتها بعوامل الذكاء والمستوى الاقتصادي والاجتماعي، ونوع الجنس، وقد جاءت نتائجها متفرقة في هذا الفصل.

كما قامت "عبلة حنفي"[٢] بدراسة التعبير لتلاميذ المراهقة المبكرة – المدرسة الإعدادية (المتوسطة) – من حيث الفروق بين الجنسين حيث لاحظت من بين النتائج التي حصلت عليها انخفاض نسبة تكبير الأم في رسوم المراهقين عن الأطفال.

٣- النمو الجسمي وتأثيره على التعبير الفني للأطفال:

ينمو الطفل من الناحية الجسمية ويتصف المظهر الجسمي كمظهر من مظاهر النمو بالعديد من الخصائص في كل مرحلة من مراحل العمر الزمني، ونتوقع أن يصاحب تغييرات النمو الجسمي من الناحية الكمية (وزن / طول / حجم / نسب / .....) تغيرات أخرى كيفية ترتبط بخصائص الوظائف التي يقوم بها أعضاء الجسم الإنساني وتظهر على هيئة مظاهر حركية خارجية تهم معلم التربية الفنية أو ربما معلم التربية الرياضية... هذا بالإضافة إلى التغيرات الجسمية الداخلية التي تهم تخصصات أخرى.

إن لهذه الخصائص الحركية تأثير مباشر على الأداء الفني لكن ليس هو التأثير الوحيد والأساسي لأننا قد ذكرنا أن التعبير الفني كسلوك هو انعكاس لكل مظاهر النمو بما فيهم المظهر الجسمي.

وقبل استعراض أمثلة لبعض مظاهر التعبير الفني للأطفال كانعكاس لتأثير عامل النمو الجسمي نؤكد هنا أن النمو الجسمي ذاته وخاصة ما يعنينا منه وهو الجانب الحركي يتأثر هو أيضاً بمجموعة من العوامل هي:

أ- النضج والتعلم فلا يوجد تعلم لأي مهارة إلا إذا وصل الطفل إلى مستوى من النضج يستطيع أن يؤهله لهذا التعلم، فبدون ذلك فالتعلم غير مجد.
ب- الذكاء وهو القدرة العقلية المعرفية الفطرية العامة، وله تأثيره الواضح مع الأداء الحركي، والدليل على ذلك وجود اختبارات الذكاء تعتمد على الأداء الحركي قبل أن يتعلم الطفل اللغة أو الرسم وكلما كانت حركات الطفل أكثر توافقاً دل ذلك على ذكاء مرتفع.
ج- الشخصية وسماتها.
د- قوانين النمو أو مبادئ النمو التي تحكم مظاهر النمو.

وفيما يلي بعض مظاهر التعبير الفني للأطفال الذي تحكمه مظاهر النمو الجسمي في ضوء تأثير قوانين النمو:

---

[١] مصطفى محمد عبد العزيز: رسوم التلاميذ المصريين في مرحلة المراهقة الوسطى ودلالتها النفسية، ١٩٧٩ مرجع سابق.

[٢] عبلة حنفي عثمان: الدلالات النفسية للفروق بين رسوم البنين والبنات في المرحلة الإعدادية بمصر، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية التربية، جامعة حلوان، ١٩٧٩.

أ- ففي ضوء مبدأ النمو الذي ينص على "النمو يسير من العام إلى الخاص" يمكن تفسير لماذا يبدأ الطفل بالشخبطة ثم تتطور بعد ذلك إلى تعبيرات رمزية ثم واقعية، أن التخطيط العشوائي مظهر من مظاهر الحركة العامة التي يأتي بها الطفل عند تناوله أي شيء، حركة غير متخصصة تدل على عدم قدرة الطفل على السيطرة على عضلاته، ثم تأخذ هذه الحركات في التخصص بعد ذلك نتيجة التحكم والسيطرة العضلية على وسائل وأدوات التعبير الفني المختلفة.

ب- وفي ضوء مبدأ آخر من مبادئ النمو وينص على "أن النمو يتجه من المحور الرأسي للجسم إلى الأطراف" نجد أن هناك صلة بين هذه القانون الذي يحكم اتجاه النمو الجسمي وبين اكتساب المهارات اليدوية في مجال التعبير الفني، فتبعاً لهذا القانون نجد الطفل يبدأ التحكم في استخدام ذراعه ثم رسغه ثم يده فأصابعه، أي يبدأ بالعضلات الكبيرة وينتهي بالتحكم في استخدام العضلات الصغيرة وهذا له صداه من حيث نمو المهارة ومن حيث تلبية وظائف أدق. إن دراسة النمو الحركي أمر واجب الأهمية في التخطيط لاستخدام العدد والأدوات والخامات في مجال التربية الفنية حتى تتناسب مع مظاهر النمو الحركي مع ما يناسبها من خبرات فنية، فإن ما يناسب طفل في مرحلة الطفولة المتأخرة لا يناسب طفل في مرحلة الطفولة الوسطى أو المبكرة مثلاً.

٤- النمو العقلي وتأثيره على التعبير الفني للأطفال:

أصبح من الأمور البديهية علاقة السمات العقلية بوجود اختلافات كمية ونوعية بين الأفراد في سلوكهم المتنوع فالذكاء مثلاً له علاقة بالنجاح الدراسي، والتكيف الاجتماعي، والعمل الوظيفي، كما أن له علاقة أو بالأصح يمكن الكشف عنه من خلال وسائط إحداها الرسم[١]، لقد أصبح الرسم وسيطاً للكشف عن عينات أخرى من السلوك الإنساني كمفهوم الذات[٢] والشخصية[٣] والرسم في هذه الممارسات عامل من عوامل الإسقاط الذي يوفر للباحث فرصة فهم المفحوص الذي يقوم بدراسته أو علاجه.

وبمصر أظهرت النتائج في دراسة "مصطفى عبد العزيز"[٤]، أن هناك فروقاً في رسوم المراهقين مرجعه اختلاف مستوى القدرة العقلية العامة (الذكاء) وجاءت النتائج كما يلي:

أ- من حيث مضمون الرسم نجد أن الأعلى ذكاء أكثر تحديداً بزمان ومكان الموقف المراد التعبير عنه.

ب- من حيث الشخصية الأساسية في الرسم نجدها متصدرة العمل الفني في رسوم الأعلى ذكاء بعكس الأدنى ذكاء الذين ظهرت شخصياتهم الأساسية منزوية ومضغوطة وربما يرجع هذا إلى عامل الثقة الذي يشعر به الأذكياء وسط زملائهم.

ج- من حيث الشخصيات الإضافية في الرسم نجدها عند الأعلى ذكاء مشابهة لأعمارهم في أغلبها بعكس أصحاب الذكاء الأدنى فهي في الغالب إما أكبر أو أصغر من عمرهم الزمني.

---

(١) Goodenough, "Measurement of intelligence by Drewing New Yourk, World Book (1926).

(٢) Macwover, Human Figure Drawing of Children, J. Proj. Tech., Vol. 17, PP. 85-91.

(٣) لويس مليكه – اختيار رسم المنزل والشخص والشجرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (٢٠٠٠).

(٤) مصطفى محمد عبد العزيز: رسوم التلاميذ المصريين، مرجع سابق.

د- من حيث الأداء في الرسم تفوق الأعلى ذكاء في البعد الخاص بتحديد الخطوط والاستعانة بالزخارف.

وفي دراسة أخرى قام بها "مصطفى عبد العزيز"[1] على أطفال المرحلة الابتدائية وما قبلها (الحضانة) أظهرت النتائج الخاصة بالتعبير الفني المجسم عن مقدار من التعلم أكثر لصالح الأطفال ذوي الذكاء المرتفع فعلى سبيل المثال نجدهم ينجحون في إيجاد العلاقات الواضحة والبسيطة التي تؤدي إلى المعنى في حين يتميز أغلب الأطفال أصحاب الذكاء المنخفض بعمل علاقات لا تؤدي إلى المعنى. وبينما نجد أغلب الأطفال من ذوي الذكاء المرتفع قادرون على عمل الملامس التي تجمع بين الخشونة والنعومة نجد الأطفال ذوي الذكاء المنخفض تغلب على ملامس أشكالهم الخشونة وبينما نجد الأطفال ذوي الذكاء المرتفع قادرون على عمل الأشكال المجسمة القائمة "كما هي مألوفة في الواقع" نجد أغلب الأطفال ذوي الذكاء المنخفض يضعون عناصرهم في شكل مجسم نائم "يختلف عما هو مألوف في الواقع" وهكذا يمكن مناقشة باقي النتائج في ضوء تفوق أصحاب الذكاء المرتفع مما يدفعنا إلى التفكير في عمل اختبار الذكاء الفني في مجال التعبير المجسم شبيه باختيار رسم الرجل للذكاء وشبيه أيضاً بما قام به الباحثين في مجال فني آخر هو التربية الموسيقية[2].

القدرة الفنية كمظهر من مظاهر النمو العقلي:

يولد بعض الأشخاص ولديهم استعداد فني عال، لا يكشف عنه إلا من خلال ممارسات البيئة، ومن خلال هذه الممارسات نتبين مقدار هذا الاستعداد وهو ما يطلق عليه "قدرة" وفي هذه الحالة قد تعبر القدرة عن موهبة لأن الاستعداد الذي بنيت عليه استعداد عال، ويصبح أصحابها موهوبين فنياً. وظهور القدرات الفنية والقدرات الخاصة الأخرى يرتبط بمرحلة المراهقة. فبعد أن كان سلوك الطفل العقلي في مرحلة الطفولة خاضعاً للقدرة العقلية العامة (الذكاء) نجد أنه بانتقال الطفل إلى مرحلة المراهقة يحدث التمايز في نشاطه العقلي فيلاحظ اختلاف مستواه الدراسي باختلاف مواد الدراسة، ونشاهد أصحاب القدرات الفنية العالية يتفوقون على أقرانهم في التعبير الفني.

إذن فالنمو العقلي عامل مؤثر في التعبير الفني، ولعل ارتباط القدرة وظهورها بفترة المراهقة يجعل البعض يتساءل عن سبب وجودها ضمن العوامل المؤثرة على التعبير الفني للأطفال، والجواب أنه لا سبيل لدينا إلا توفير النشاط الفني والتوجيه السليم في مرحلة الطفولة حتى يتم الكشف بعد ذلك عن أصحاب القدرات الفنية العالية، وبدون ممارسات الطفولة تظل هذه القدرة كامنة لا تعلن عن نفسها.

الإدراك كمظهر من مظاهر النمو العقلي:

الإدراك عملية نفسية هدفها تفسير الإحساسات الواردة إلى العقل من أجهزة الحس، وبها يتم تحويل التنبيه إلى فكرة أو تصور ثم إلى مفاهيم تدرك عقلياً، وكأي مظهر من مظاهر النمو فإن الأطفال يختلفون في الإدراك بل إن الطفل أو الفرد عامة سوف يختلف إدراكه لذاته عن إدراك الآخرين لها، كذلك فإن إدراكه للبيئة حوله يختلف عن إدراك هذه البيئة بالنسبة لأقرانه فنتوقع اختلاف مظاهر التعبير الفني من طفل إلى آخر.

ويرجع اختلاف إدراك طفل عن آخر بسبب عوامل مؤثرة أخرى منها البيئة التي يعيش فيها الطفل، والأسرة ومدى ثقافتها، ومستوى نموه... أما إذا لاحظنا تشابها في إدراك بعض الأطفال فيمكن إرجاعه إلى وجود خبرات مشتركة متشابهة بصفة عامة، وحتى هذا التشابه سوف لا يكون تاماً، ولذا فلا

---

[1] مصطفى محمد عبد العزيز: نحت الأطفال، مرجع سابق.

[2] آمال صادق "اختبار ونج للذكاء الموسيقي".

نتوقع أن يكون هناك إدراك متشابه تشابهاً تاماً في درس التعبير الفني أو أي درس آخر. إلا أن هناك تشابه من نوع آخر يتصل بالعمليات التي يمر بها النمو الإدراكي[1].

أ- العملية الأولى: التمايز وهو تحديد الأشياء والمدركات التي كانت في الأصل مختلطة وعامة.
ب- العملية الثانية: التكامل بين المنعكسات أو التصورات المتفرقة المفصلة وخلق وحدة بينها.

وهكذا يمكن القول بأن العمليات العقلية كالتجريد والتميز والتعميم يستخدمها الأطفال في جميع مراحل النمو بدرجات متفاوتة.

وإذا كان الطفل يتعرف على العالم المحيط بواسطة حواسه الخمسة المعروفة فإننا نتوقع عندما يقوم بعملية الإدراك البصري أن يتأثر بثلاث عوامل:

أ- القدرة على الإبصار ويختلف فيها الطفل عن طفل أخر.
ب- الانتباه: ونتوقع اختلافاً بين الأطفال من حيث مدته "زمنه" ومن حيث مداه "الموضوعات التي ينتبه إلهيا وفي وقت واحد ومدى تعقدها وبساطتها"
ج- الإدراك: وهو كما قلنا عملية تفسير الإحساسات "البصرية هنا" وبسبب اختلاف الأطفال في حواسهم والقدرة على الانتباه والخبرات السابقة فسوف نتوقع اختلافهم في المدركات التي يحصلون عليها من خلال عمليات الملاحظة للعالم المحيط.

وفي أثناء التعبير الفني للأطفال سنجدهم يقومون بحوار مع أنفسهم يوظفون فيه قدراتهم على التأمل والملاحظة وعمل المدركات وإبداء وجهات النظر التي في بعض الأحيان وجهات نظر ناقدة.

ومن منطلق الاعتقاد بوجود اختلافات في الإدراك فالمعلم لا يمكن أن يظل ساكناً وعليه أن يتيح الفرصة لمزيد من مناسبات توظف فيها الحواس كاللمس والمسك والتذوق.... واختبار كل ما يقع في محيط الطفل من موضوعات لا تصيبه بأذى. كذلك توجيه الطفل إلى عمليات يقوم بها بتمييز الألوان والأشكال والأحجام والخامات حتى يدرك خواصها والفروق بينها ويكون لكل منها صورة ذهنية مدركة لاستدعائها بسهولة في الوقت المناسب، ولا مانع من تعليم الأطفال بعض المفاهيم العامة كالزمان والمكان والحياة والذات...

التفكير كمظهر من مظاهر النمو العقلي:

يعني التفكير التأمل العقلي، ويشير إلى التعريف بطرق حل المشكلات وتنمية المفاهيم العقلية عن العالم الذي نعيش فيه. ونتوقع أن يختلف الأطفال في هذه العينة من السلوك كما نتوقع وجود عوامل مؤثرة على هذه العينة – التفكير – أيضاً. وينعكس هذا الاختلاف على تنوع أساليب تفكير الأطفال أثناء تعبيرهم الفني.

١- من المتوقع تنوع الأطفال من حيث إيجاد حلول لمشكلاتهم الفنية فبعض الأطفال لديهم القدرة على الإتيان بحلول كثيرة ومتنوعة وربما جديدة، والبعض الآخر متقيد بحلول نمطية.
٢- من المتوقع اختلاف الأطفال من حيث القدرة على الاستمرار في التفكير بأنفسهم ولأنفسهم للوصول إلى حلول لمشكلاتهم الفنية ويمكن للمعلم إتاحة الفرص للاعتماد على النفس في الوصول إلى الحلول مهما طال الوقت، وأن يكون لأطفاله وجهات نظر خاصة يستطيعون الدفاع عنها.

---

[1] Russel. D. H., Children's Thinking.

٣- من المتوقع اختلاف الأطفال من حيث إمكانية التفكير الاقتصادي أي الوصول إلى التعبير الفني واستخدام الأدوات والأجهزة بأقل الخطوات الممكنة، وحذف الخطوات غير الصحيحة أو الزائدة أو المعرقلة في أسرع وقت.

التذكر كمظهر من مظاهر النمو العقلي:

يعني التذكر استرجاع الصور الذهنية البصرية أو غيرها من الصور التي مرت بحياة الفرد وربما بحياة الآخرين حوله، ويختلف الأطفال في قدرتهم على التذكر وبالتالي ينعكس ذلك أيضاً على تعبيراتهم الفنية، ولعل المعلم يحاول أن يساعد أطفاله على التذكر البصري عن طريق:

أ- اختيار موضوعات مثل التعبير عن مشاهد قصة أو رحلة قام بها الأطفال حتى يكون ذلك وسيلة لعرض سردي يقوم به الأطفال عن القصة أو الرحلة قبل التعبير وهذا يوظف قدرتهم على التذكر.
ب- كثرة الأسئلة التي يسألها معلم التربية الفنية لتلاميذه عن ما يسمعه الأطفال وما شاهدوه وما لفت نظرهم في أي خبرة يعيشون فيها مما يثري الذاكرة وينعكس على التعبير.
ج- في بعض الأحيان يكرر المعلم استخدام وسيلة أو زيارة أو موضوع وفي كل هذه المناسبات يمكن للمعلم إثارة الأسئلة حول آخر مرة قام بها الأطفال بنفس الخبرة، وكذلك مثلما يحدث في بداية كل حصة من محاولة ربط المدرس الحاضر بالسابق.
د- الاستعانة بالصور، ووسائل الإيضاح الأخرى لإثراء رؤية التلاميذ حولها واختبار ما تذكره منها بعد ذلك.

٥- النمو الانفعالي وتأثيره على التعبير الفني للأطفال:

الانفعالات حالة لا شعورية تمس الإنسان، ويشير لفظ انفعال إلى أن دافعاً خاصاً في حالة توتر وهذه الحالة قد تكون حزناً، أو غضباً أو فرحاً أو خوفاً أو غيره..، والانفعالات لها أساس عضوي فطري يمكن دراسته تحت العوامل الوراثية، كما أن لها أساس مكتسب يتمثل في البيئة والثقافة والتجارب الماضية وبالمجتمع بصفة عامة.

وبديهي أن يتأثر سلوك الفرد بالحالة الانفعالية التي هو عليها ولا نتوقع أن يأتي الأطفال إلى حجرة الدراسة وهم متشابهون في انفعالاتهم واهتماماتهم ولذلك فمن البديهي إذن أن يتأثر التعبير الفني بحالتهم الانفعالية، ويظهر ذلك في استجاباتهم الانفعالية التي تحملها الرموز التي يقومون بتنفيذها، فتصبح بعض الرموز ترتبط بالفرح أو بالغضب أو بالضيق أو بالحزن... حتى وإن لم يفصح الأطفال عن مشاعرهم، أو لم يفهم المعلم حالتهم، إلا أن الأطفال – لا شك يعكسون حالتهم الانفعالية بأساليبهم المميزة يختارون العناصر، ويؤكدون بعضها ويهملون البعض الآخر يستخدمون في ذلك التحريف كعامل مساعد لتحميل الرموز شحنات انفعالية متنوعة.

ثانياً: البيئة كعامل مؤثر على التعبير الفني للأطفال:

البيئة "Environment" هي كل العوامل المؤثرة تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الفرد منذ أن تم الإخصاب، وتشمل البيئة: عوامل التعلم والنضج والمثيرات وأثرها في النمو والتغذية والطقس والمناخ والحالة الاجتماعية والاقتصادية، وتتكاتف هذه العوامل كلها لتشكيل نمو الجنين منذ اللحظة التي يتم فيها الحمل.

وقد أظهرت نتائج الأبحاث أن للبيئة تأثيراً في ظهور بعض أنواع السلوك الذي لا يرجع إلى الوراثة كما أثبتت أن التدريب " البيئة" لا يمكن أن يدخل تحسيناً على طبيعة القدرة، لأن كل ما يستطيعه التدريب هو أن يبلغ بالقدرة أقصى حدود إمكانياتها، وذلك في صورة مهارات خاصة، وهذه المهارات يمكن عن طريق "انتقال أثر التدريب" أن تفيد في مجالات تعلم مشابهة.

والسلوك الفني يعتبر نتاج تفاعل عوامل وراثية وعوامل بيئية مثله في ذلك كأي سلوك يقوم به الإنسان، فأغلب سلوك الإنسان هو سلوك متعلم إلا جزء يسير من السلوك خاص بردود الأفعال المنعكسة وعمل الأجهزة الداخلية في الإنسان.

ومن أمثلة الدراسات التي تناولت تأثير المستوى الاقتصادي والاجتماعي على التعبير الفني المجسم للأطفال دراسة "مصطفى عبد العزيز"[١] وأظهرت نتائجها أن الأطفال ذوي المستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض نجحوا في إيجاد العلاقات الواضحة التي تؤدي إلى المعنى – نظراً لقرب المعنى منهم – وبينما يتميز أصحاب المستوى الأعلى بعمل الملامس التي تجمع بين الخشونة والنعومة، نجد أصحاب المستوى الأدنى ينتجون اشكالات ذات ملامس ناعمة فقط، وأظهرت النتائج أيضاً أن الأطفال في المستويات الاقتصادية والاجتماعية المرتفعة يضيفون عناصر على هيئة نباتات، أشكال فنية، أشكال حربية، وأوعية، ربما مثلت بعض اللعب المتوفرة لديهم بينما نجد الأطفال في المستويات الاقتصادية والاجتماعية المنخفضة عندما يضيفون عناصر إلى أشكالهم لا تخرج عن كونها كتل وأشكال ليس لها صلة بالواقع.

وقد أظهرت النتائج في دراسة أخرى "لمصطفى عبد العزيز"[٢] أن هناك فروقاً في رسوم المراهقين مرجعه اختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي وجاءت النتائج كما يلي:

أ- من حيث مضمون الرسم تميز أصحاب المستوى الاجتماعي والاقتصادي المرتفع بالمضمون الفلسفي أكثر من المضمون الوصفي.

ب- من حيث الشخصية الأساسية في الرسم تبين أن المراهقين ذوي المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع يتميزون بعدم رسم شخصيات أخرى إضافية بجوار الشخصية الأساسية ومن الممكن تفسير ذلك بمدى الفرصة المتاحة في البيئتين لتنمية النزعة إلى التفرد والاستقلال الذاتي.

ج- من حيث الشخصيات الإضافية في الرسم تفوق أصحاب المستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض على أصحاب المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع من حيث تضمين رسومهم شخصيات إضافية وكانت النسب ٦٣% إلى ٤٩% ، وقد جعل أصحاب المستوى المنخفض هذه الشخصيات الإضافية أكبر اختلافاً عن الشخصية الأساسية من حيث السن وأكثر تقارباً من الشخصية الأساسية وأكثر حظاً من التفاعل الودي معها.. وأكثر اتصالاً معها بصلة القرابة والمرء يستطيع أن يستعين في تفسير هذه النتائج بما يكون عليه كل من البيئتين من اختلاف في الجوانب الفيزيقية التي من بينها كثرة الازدحام في البيئة المنخفضة المستوى عن البيئة المرتفعة المستوى واختلاف الجوانب الاجتماعية في كل منهما.

د- من حيث البيئة حول الشخصية الأساسية: وجد أن رسوم أصحاب المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع تضمنت أغلبها بيئة خارج المنزل وعلى ذلك فهذا يشير إلى النظرة

---

[١] مصطفى محمد عبد العزيز: نحت الأطفال، مرجع سابق.

[٢] مصطفى محمد عبد العزيز: رسوم التلاميذ المصريين، مرجع سابق.

الأرحب والأوسع في التطلعات، كما أظهرت رسومهم شيوع الود أكثر من العدوانية بين الأفراد.

ه- من حيث أسلوب الأداء. أصحاب المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع رسومهم أكثر تجريداً من رسوم أقرانهم من المستوى الاقتصادي الأدنى الذين تميزوا بتحديد الرسم قبل التلوين.

عوامل بيئية مؤثرة على التعبير الفني:

١- أثبتت التجارب أن التجارب الحسية المبكرة والمتنوعة لها أهمية قصوى في النمو بصفة عامة والنمو الحسي بصفة خاصة، ونظراً لأهمية النواحي الحسية نوضح هنا تأثير الحرمان الحسي على سلوك الأطفال:

أوضحت نتائج سبيتز Spitz[1] أن الأطفال الذين يحرمون من الإثارة الحسية الطبيعية قد يظهرون شذوذاً في سلوكهم، سماه "الحرمان من السند"، أو الحاجة إلى من يعتمد عليه وقد يتسم هؤلاء الأطفال بالإعاقة والتخلف في النمو الحسي وبكثرة حساسيتهم، وسهولة وقوعهم فريسة للأمراض.

والنتائج السابقة تشير إلى أهمية التجارب الحسية المبكرة في عمليات التكيف السليم للفرد سواء بينه وبين نفسه أو بينه وبين الآخرين كما يشير إلى دور التربية الفنية الهام عندما توجه أنظار وحواس الطلاب إلى توظيف حواسهم توظيف جمالي.

٢- أثبتت الدراسات أن توقعات الكبار من الصغار إذا لم تتناسب مع قدرات الأطفال سببت لهم القلق – للأطفال – وعدم الرضا عما حققوه بالنسبة لما يتوقعه الكبار. وقد نلاحظ انخفاض الأداء في التعلم بصفة عامة – بما فيها تعلم الفن – في بعض الأحيان نتيجة جهد المتعلم المتواصل لتحقيق توقعات الكبار منه، وقد يسبب هذا الجهد التعب والإرهاق والملل، وهذا يدفعنا إلى ألا نغالي في توقعاتنا بالنسبة لممارسات الأطفال الفنية وأن نتقبل إنتاجهم الذي يناسب قدراتهم وألا نكون بمثابة دوافع نفور إلى خارج حجرة الفن.

٣- عدم التكيف المدرسي الذي يعيشه بعض الأطفال قد يكون سببه الأسرة وصراعاتها فيأتي الطفل إلى المدرسة ومعه مشاكله التي تسبب له القلق والتوتر وعدم التركيز أو عدم الرغبة في التعبير الفني فالأمان الأسرى يؤثر على التوازن النفسي للطفل وبالتالي على عمله المدرسي وعلينا أن نتبين تأثير هذا العامل البيئي على تكيف الطفل داخل حجرة التربية الفنية.

---

[1] جاءت نتائج تجربة سبيتز spitz في كتاب حامد عبد العزيز الفقي: دراسات في سيكولوجية النمو، مرجع سابق، ص٨٣.

قائمة المراجع:

- آمال صادق "اختبار ونج للذكاء الموسيقي".
- حامد عبد العزيز الفقي: دراسات في سيكولوجية النمو، مرجع سابق، ص٨٣.
- حامد زهران – علم نفس النمو – القاهرة – عالم الكتاب – ١٩٧٧ – ص ص ٣٤-٤١.
- حامد زهران: التوجيه والإرشاد النفسي. القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٠.
- ستانلي ميديا: محاضرة مترجمة بكلية التربية الفنية، جامعة حلوان. ١٩٨١.
- عبلة حنفي عثمان – أثر المستوى الاجتماعي على رسوم الأطفال لوالديهم، مجلة دراسات وبحوث – جامعة حلوان – مجلد (٥)، العدد (٢).
- عبلة حنفي عثمان – دراسة الرسم كوسيلة نفسية – رسالة ماجستير – كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ١٩٧٢.
- عبلة حنفي عثمان: الدلالات النفسية للفروق بين رسوم البنين والبنات في المرحلة الإعدادية بمصر، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية التربية، جامعة حلوان، ١٩٧٩.
- فتح الباب عبد الحليم: البحث في الفن والتربية الفنية، مرجع سابق، ص٦١.
- لويس مليكه – اختيار رسم المنزل والشخص والشجرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (٢٠٠٠).
- محمود البسيوني: "إشراف"، تجارب في التربية الفنية، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٤، ص٧٥-٨٣ "تجربة نبيل الحسيني".
- محمود البسيوني: سيكولوجية رسوم الأطفال، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤، ص ١٧-١٨.
- مصطفى محمد عبد العزيز – دور التربية الفنية في التعليم – مقالة بجريدة الجمهورية (مصر) السنة ٤٨، العدد (١٧٣٤١) بتاريخ ٢٠٠١/٦/٢٠.
- مصطفى محمد عبد العزيز: خصائص نحت الأطفال المصريين في مرحلتي الحضانة والابتدائي وعلاقتها بالذكاء ونوع الجنس والمستوى الاجتماعي، رسالة دكتوراه، كلية التربية الفنية، ١٩٧٩.
- مصطفى محمد عبد العزيز: رسوم التلاميذ المصريين في مرحلة المراهقة الوسطى ودلالاتها النفسية رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، ١٩٧٣.
- Macwover, Human Figure Drawing of Children, J. Proj. Tech., Vol. 17, PP. 85-91.
- Goodenough, "Measurement of intelligence by Drewing New Yourk, World Book (1926).
- Russel. D. H., Children's Thinking.
- Ruth Coge-Cobl. "The Child Sculpture of Koubbeh Gardens". The Egyptian Jorunal of Psychology, June, 1948, P.8.
- V. Lowinfild Creative and Mental Growth 3rd., New yourk. Mae Millan, 1947.
-

ملخص البحث

التعبير الفني للأطفال في ضوء بعض متغيرات الوراثة والبيئة[1]

يؤكد البحث الحالي على أن التعبير الفني للأطفال هو مظهر من مظاهر النمو، وأن هذا المظهر له معدله الخاص في النمو، وأنه يتفاعل مع بقية مظاهر النمو الأخرى تفاعلاً إيجابياً، يؤثر فيهم ويتأثر بهم، وعلى هذا الأساس فالتعبير الفني كسلوك يمارسه الأطفال يمكن اعتباره محصلة تفاعل على جوانبهم الشخصية وانعكاس لها.

مشكلة البحث:

بالرغم من أن لعوامل الوراثة والبيئة تأثيرها على مظاهر النمو عامة، وأن مجال البحث الحالي يؤكد هذه الحقيقة أو المسلمة تجاه مظاهر التعبير الفني للأطفال، إلا أن مشكلة البحث الحالي تكمن في الكشف عن ماهية خصائص التعبير الفني للأطفال في ضوء تأثير بعض عوامل الوراثة والبيئة، أي أنه (البحث الحالي) يبحث في المظاهر الكيفية للتعبير الفني للأطفال في ضوء تأثير بعض عوامل الوراثة والبيئة.

هدف البحث:

الكشف عن خصائص التعبير الفني للأطفال في ضوء بعض متغيرات الوراثة والبيئة.

فرض البحث:

توجد علاقة إيجابية بين خصائص التعبير الفني للأطفال وبين بعض متغيرات الوراثة والبيئة.

منهج البحث:

لمنهج الوصفي التحليلي

نتائج البحث:

اعتمد البحث الحالي على نتائج البحوث والدراسات العلمية التي تناولت مظاهر أو خصائص التعبير الفني للأطفال في ضوء بعض متغيرات الوراثة والبيئة: اختلاف نوع الجنس، واختلاف العمر الزمني، والنمو الجسمي، والنمو العقلي (القدرة الفنية / الإدراك / التذكر)، والنمو الانفعالي، والبيئة.

---

[1] أ.د. مصطفى محمد عبد العزيز حسن، أستاذ علم النفس، ومادة تحليل التعبير الفني لفنون الأطفال والبالغين – قسم علوم التربية الفنية – كلية التربية الفنية – جامعة حلوان.

Summary of the Study

Children's artistic expression in the light of some genetic and environmental [1] changes

This study ascertains that Children's artistic expression is a growth phenomena which has a certain growth rate and positively reacts by affecting and effecting with other growth phenomena .According to this basis, artistic expression as a behavior practicing by children can be considered a reaction outcome of their personal attributes and their reflection .

The problem:

In spite of genetics and environment factors affect on general growth manifestation and the current research confirms this truth or intuitive towards artistic expression manifestations, the problem is to discover characteristics of Children's artistic expression in the light of some genetics and environment effects . Thus , it seeks quality properties of Children's artistic expression in the light of some genetics and environment effects .

The aim :

To discover characteristics of Children's artistic expression in the light of some genetics and environment changes .

The hypothesis :

There is a positive relationship between characteristics of Children's artistic expression and some genetics and environment changes .

The results :

This research relies on practical studies and researches results dealing with characteristics or properties of Children's artistic expression in the light of some genetics and environment changes : gender , age , physical growth , mental growth (artistic ability , perception, remembering), Emotional growth and environment.

[1] **Prof.Dr. Mostafa Mohammed Abd el Aziz Hassan Professor of Psychology and analysis of artistic expression for children and adults arts .**
Art Education Sciences Department
Faculty of Art Education
Helwan University

(1)